الفصل الثالث

الحضارة الفرعونية

- تمهيد
- **أولًا:** أهم مصادر التاريخ المصري القديم
- **ثانيًا:** الدولة الوسطى
- **ثالثًا:** عصور ما قبل التاريخ
- **رابعًا:** بداية العصور التاريخية
- **خامسًا:** ما فضل الحضارة المصرية أو الفرعونية على الحضارة اليونانية؟

تمهيد

قامت الحضارة في العالم القديم حتى أحواض الأنهار الكبرى كالنيل في مصر، ودجلة والفرات في العراق، والسند في الهند، وقد لعب النيل دورًا خطيرًا في قيام الحضارة المصرية فهو الذي أمد البلاد بمصدري الخصوبة وهما: الماء والطمي؛ فساعد بذلك على تحويل مصر من صحراء جرداء إلى جنة خضراء صالحة لإنبات الزرع، وقد اقترن هذا العامل بجهد المصريين الذين عملوا على استغلاله فأقاموا المقاييس وشقوا الترع وشيدوا السدود وبنو الجسور.

ولم يقف دور النيل عند هذا الحد، بل إنه علَّم المصريين بناء السفن التي تجري بهم على مائه يحملها تياره نحو الشمال تدفعه الرياح الشمالية السائدة نحو الجنوب.

لقد وجد المصريون في النيل أنه المصدر الأول للحياة، أدركوا أنه لولاه لما قدر لمصر هذا الحظ من الحياة وقامت فيها تلك الحضارة الرفيعة فبدا لهم هذا النهر كأنه ساحر مس بعصاه السحرية الأرض فحولها إلى بقعة من أخصب البقاع فعظموه وقدسوه فأقاموا الأعياد احتفالًا بفيضانه.

والمناخ هو عامل من أكثر العوامل تأثيرًا في الحياة الإنسان وتقدمه وقد وهب الله مصر مناخًا معتدلًا: شمس، وسماء صافية، وهواء عليل. لمصر موقع ممتاز انفردت به بين الأقطار فهي ملتقي قارتين كبيرتين هما أفريقيا وآسيا كما تواجه قارة أوروبا في شمال وهي تطل على بحرين كبيرين وهما: البحر الأحمر والبحر المتوسط.

أولًا
أهم مصادر التاريخ المصري القديم

استكملت مصر إلى حد كبير، كثيرًا من مقومات حضارتها قبل ظهور الأسرة الأولى إذ كانت قد تقدمت في أساليب الزراعة وعرفت الكثير من نظم الري وبخاصة في شق الترع وانتصرت على الصحراء والمستنقعات فاستقطعت الكثير منها وحولته إلى أراضي زراعية.

وعرفت أيضًا استخراج بعض المعادن وبخاصة الذهب والنحاس من مناجم الصحراء الشرقية وتقدمت في إتقان قطع الأحجار الصلبة وصنعت منها الأواني والقدور، وعرفت صناعة التماثيل منذ عصر البداري وكانت التجارة رائجة بين المدن والأقاليم المصرية بواسطة النيل فحسب، ولكنها عرفت أيضًا التجارة مع آسيا بواسطة السفن التي كانت تسير على مقربة من ساحل فتصل إلى موانى الشاطئ الفينيقية وبخاصة ميناء جبيل كما كانت هناك أيضًا حركة ملاحية في البحر الأحمر وكانت القوافل البرية تحمل منها وإليها السلع التجارية من جميع البلاد المجاورة حتى إيران والأناضول.

وأهم من هذا كله كانت قد توصلت إلى نظام إداري مناسب وحددت اختصاصات بعض الوظائف وكبار الموظفين وكانت لها بعض تقاليد خاصة في الفن وفي الدين.

ولا شك في أن مصر بلد حبته الطبيعة بشبه عزلة عما جاوره من البلاد، فالبحر في شماله وإلى الشرق والغرب منه صحراء موحشة وأما في الجنوب هناك شلالات في النهر ولم تكن هناك أي في الجنوب دولة قوية تخشى منها على نفسها ولكن رغم ذلك كله اتصلت تجارتها بما جاورها من بلاد كما كانت دروب الصحراء تحمل إليها كثيرًا من المهجرين الذين يأتون فرادى أو جماعات ليستقروا فيها.

وقد تمزقت البلاد وصارت إمارات، وغزا الدلتا الآسيويون من الشرق والليبيون من الغرب ولهذا أصبح من الصعب عليهم عمل قوائم بأسماء الأسرتين السابعة والثامنة، أما الأسرتان التاسعة والعاشرة فقد حكم ملوكهما من أهناسيا، وكان يطلق على بعضهم اسم خيتي.

ثانيًا
الدولة الوسطى

يبدأ عصرها من العصور المصرية القديمة فقد ازدهر فيه الفن والأدب وقد انتشر النظام الاقطاعي في أثنائه وتشمل الأسرتين الحادية عشرة والثانية عشرة.

١- الأسرة الحادية عشرة (٣٠٠٥ق.م. ٢٩٦ ق.م) وأشهر ملوكها منتوحتب

٢- الأسرة الثانية عشرة (٩٦٢ق.م-٢٥٦ق.م) وأشهر ملوكها امنمحات الأول وسنوسرت الأول وامنمحات الثاني وسنوسرت الثالث وامنمحات الثالث[١]

(١) سيرو. م فلندرز بتري: الحياة الاجتماعية في مصر القديمة،١٩٢٣م، الطبعة الثانية، ص١٠،١١.

ثالثًا

عصور ما قبل التاريخ

اتفق العلماء على تسمية الدهور القديمة التي سبقت مرحلة الكتابة بتسميات عدة منها: عصور ما قبل التاريخ، وعصور ما قبل المدنية، وعصور ما قبل التاريخ والدهور الحجرية، وغيرها من المسميات مع ملاحظة أنه لكي نعي ونفهم الحضارات التاريخية ونشأتها وتطورها لابد لنا من فهم تراث الأسلاف تلك الدهور الطويلة المسماة بعصور ما قبل التاريخ الذي يقسمه عدد من الباحثين إلى مراحل لتسهيل دراسته.

١- العصر الحجري القديم (بأقسامه الثلاثة الأسفل والأوسط والأعلى)

٢- العصر الحجري الوسيط *Paleolithic Mesolithic*.

٣- العصر الحجري الحديث *Neolithic*.

٤- العصر النحاس والحجر *chalcolithic*.

وقد يضيف البعض إلى هذا التقييم مراحل أخرى حيث يبدأ ما يسمى العصر الحجري *eolithic* إشارة للدهر الإيوليني ويختتم العصر بعدة مراحل تسبق العصور التاريخية والتي تختلف في بدايتها من مكان آخر حسب التوصل إلى معرفة الكتابة وبدء الفترات التي تلت الدهور الحجرية الطويلة والتي تعرف بعصور ما قبل التاريخ والمتفق عليه الآن أن ظهور الإنسان كان في أوائل الزمن الرابع «البلايوستين» وربما ظهر في العصر الذي سبقه وهو البلوسين ومعنى ذلك أن الأنسان عاصر الأحداث المناخية الكبرى في عصر البلوستين وشاهد خلاله تقدم وتراجع الجليد المعروف.

على هذا الأساس يمكن تقسيم حضارات عصر ما قبل التاريخ في مصر إلى أقسام الآتية:

١- حضارات العصر الحجري القديم[١].

٢- العصر الحجري الوسيط (من ٨٠٠٠ إلى ٥٠٠٠ تقريباً ق.م).

٣- العصر الحجري الحديث (من ٥٠٠٠ إلى ٣٨٠٠ ق.م تقريبًا).

٤- فترة ما قبل الاسرات (من ٣٨٠٠ إلى ٣١٥٠ ق.م تقريباً).

(١) محمد علي سعدالله: تاريخ مصر القديمة، الاسكندرية، مركز الاسكندرية للكتاب، ١٩٩٨م، ص٢١.

رابعًا
بداية العصور التاريخية

يبدأ العصر التاريخي بابتداع المصريين للكتابة واستعمالها، وهو عصور يتلو بعضها بعضًا:

١- العصر العتيق ويشمل الأسرتين الأولى:

أ- الأسرة الأولى (٤٧٧٧ ق.م - ٤٥١٤ ق.م) وأعظم ملوكها مينا (نارمر)

ب- الأسرة الثانية (٤٥١٤ق.م -٤٢١٢ ق.م) أشهر ملوكها برايب سن وأهم حوادث ذلك توحيد القطرين (الوجهين) البحري والقبلة وبناء مدينة منف واتخاذها عاصمة للبلاد

٢- في عصر الدولة القديمة:

في عصرها أصبحت مصر دولة قوية متينة البنيان كثيرة الموارد واسعة الثراء واستطاعت ملوكها بناء الأهرامات الضخمة، ويطلق المؤرخون على هذا العصر المجيد بعهد بناة الأهرام ويشمل الأسرات الآتية:

أ- الأسرة الثالثة (٤٢١٢ ق.م - ٣٩٩٨ ق.م):

وأشهر ملوكها زوسر باني الهرم المدرج وأشهر شخصية في عهدها امنحتب المهندس والطبيب، مصمم ذلك الهرم.

ب- الأسرة الرابعة (٣٩٩٨ ق.م - ٣٧٢١ ق.م):

وأعظم ملوكها سنفرد وخوفو باني الهرم الأكبر، وخفرع باني الهرم الثاني، ومنقرع باني الهرم الثالث ومملكة الملكة خنت لكوي بانية الهرم الرابع.

ج- الأسرة الخامسة (٣٧١٢ ق.م -٣٥٠٣ ق.م):

وأشهر ملوكها وسر كاف و ساح ورع.

د- الأسرة السادسة (٣٥٠٣ق.م - ٣٣٣٥ ق.م):

وأشهر ملوكها بيبي الأول وبيبي الثاني

٣- عصر الاضمحلال الأول أو الفوضى: (٣٣٣٥ ق.م -٣٠٠٥ ق.م):

ويشمل الأسرات السابعة والثامنة والتاسعة والعاشرة. وفيه قام المصريون بثورة عارمة الملوك تعد أقدم ثورة اجتماعية في التاريخ.

وإذا أردنا التدقيق في معرفة أهل المصريين أو أصل حضارتهم لما أمكننا الوصول إلا إلى نتيجة واحدة وهي أنها حضارة أصيلة دخلت عليها مؤثرات من الساميين الذين في الشرق والحاميين الذين في الغرب والجنوب الشرقي كما دخلت عليها أيضًا مؤثرات أفريقية من الجنوب.

لقد أشرنا من قبل إلى حضارة بلاد الرافدين ورأينا أنه جاءت إلى مصر بعض مظاهرها في العصر السابق للأسرة الأولى مباشرة، ولكن كل هذه المؤثرات كانت تنصهر في بوتقة التجربة في مصر في ذلك العهد وسرعان ما يأخذ السكان ما يوافق حضارتهم فيمزجونه بما لديهم من ثقافة أو يعرفون عنه بعد حين لعدم ملائمته لذوقهم كانت لمصر في ذلك العهد أي عصر ما قبل الأسرات تقاليد وطنية خاصة في اختيار ملوكها كما كانت قد انتهت من وضع الأسس المختلفة غي الديانة وفي الإدارة ودانت بحفيده الوهبة الجالس على عرشها ولكنها كانت قد توصلت أيضًا إلى معرفة اختراع عظيم لا يمعن أن تتقدم الحضارة بدونه، وهو اختراع الكتابة.

كان المصريون يعيشون آنذاك في منازل مبنية بالطين أو من أغصان الأشجار أو النباتات كما عرفوا استخدام الحجر وإن لم يستعملوه على نطاق واسع وتعد موافد كثير من النواحي الفنية وأتقنوا حسن استخدام مياه النيل وعمل الجسور التي من عدوانه، واستأنسوا بعض الحيوانات النافعة لهم وبعبارة أخرى كانت الحضارة المصرية قد استكملت كل ما يلزمها ولم يكن ينقصها غير القوة الدافعة فتتقدم وتسير نحو الأمام وتحققت هذه الأمنية عندما ظهر زعيم قوى في جنوب مصر، زعيم إقليم، شني بين جرجا والبلينا الذين وحد البلاد كلها وأصبح أول ملوك مصر في عصر الاتحاد الثاني ومؤسس الأسرة الأولى[١].

وقبل أن نعرض للحضارة اليونانية دعنا عزيزي القارئ نتساءل:

(١) أحمد فخري: تاريخ مصر الفرعونية، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٥٧، ص٤٨، ٤٩.

خامسًا

ما فضل الحضارة المصرية أو الفرعونية على الحضارة اليونانية؟

يقول هيرودوت: المدن الإغريقية كلها مدن مصرية قديمة!، وأفلاطون يقول: ما من علم لدينا إلا وقد أخذناه من مصر، والدكتور طه حسين: اليونان فى عصورهم الراقية يرون أنهم تلاميذ للمصريين، ومارتن بارنال في كتابه أثينا السوداء: الحضارة اليونانية كلها من أصل فرعوني[١].

كما أن طاليس أبو الفلسفة اليونانية، أفلاطون، صولون أبو القانون اليوناني، فيثاغورث، تعلموا جميعًا في مصر.

تضافرت الحضارة المصرية مع أحفادها من اليونان، فكان الإسكندر الأكبر ابن آمون، اختطفه الموت صغيرًا ٣٣ سنة عمرًا، فكان بطليموس الأول، ومكتبة الإسكندرية، ٧٠٠,٠٠٠ بردية ومليون كتاب، كانت السفن تفتش عن الكتب، تؤخذ مقابل رهن حتى تنسخ ثم ترد لأصحابها[٢].

أما مدرسة الإسكندرية «٣٠٠ ق. م حتى ٣٠٠م» أي ستمائة عام، فكانت درجاتها العلمية بالإنجاز وليست بالأقدمية، وكان العالم يطرد بعد خمس سنوات ما لم يقدم جديدًا، وكان عدد علمائها مائة عالم. كان بها قاعات للتشريح، التشريح المقارن، وظائف الأعضاء، علم الأجنة، حدائق لعلم النبات، والحيوان، كان لها عميدان، أحدهما للآداب، والآخر للعلوم.

إقليدس صاحب كتاب الأصول في الهندسة، سأله الملك بطليموس الأول: هل

---

(١) وسيم السيسي: لولا حضارة مصر ما كانت حضارة اليونان، المصري اليوم، ٦/ ١٠/ ٢٠١٧.

(٢) المرجع نفسه.

هناك طريق أقصر للهندسة مما ذكرته يا إقليدس؟. كان الرد: ليس للهندسة طريق ملكي يا مولاي[١].

كان من تلاميذ مدرسة الإسكندرية: أبولونيوس المصرى، أمونيوس مفتت الحصوات المصري، أرشميدس الذى اخترع الطنبور الحلزوني، المرايا الحارقة لسفن الأعداء، قانون الطفو الذى قال عنه: ثيماسيكا.. ثيماسيكا: أي تذكرتها.. تذكرتها «أي تذكر القانون المصري»، ولم يقل: آفاريكا.. آفاريكا أي وجدتها.. وجدتها![٢].

كان من تلاميذ الإسكندرية أرستوراخوس الذى اكتشف دوران الأرض حول الشمس، القمر حول الأرض، كما كانت العالمة فيلينيوس مؤسسة علم الطب التجريبي، وسوسوجينس المصري الذى ضبط السنة الشمسية بالست ساعات أي يوم كل أربع سنوات. جدير بالذكر أن أعمال إقليدس ترجمت إلى السريانية ثم إلى العربية على يد الحجاج بن يوسف الثقفي، الكندي[٣].

كانت صناعة مصر انبثاقة من زراعتها منذ آلاف السنين كالفأس، السكين، المنجل، الشادوف، والحبال، والمكيال، والجرار، وفي النسيج اخترعوا البكرة، النول، المكوك، وأخطر اختراعاتهم كان الورق من البردى التي جاءت منها *Paper* الإنجليزية، *Papier* الفرنسية من *Papyrus* المصرية القديمة.

أما الفن، فكانت بصمات الفن المصري غائرة في الفن السكندري وبالتالي الفن اليوناني الروماني، لم يقدروا على استخدام الأزميل في الجرانيت أو البازلت، فاستخدموا الحجر الجيري، المصيص المخلوط بالرخام، تشكيل الزجاج بالنفخ. كان أغسطس قيصر له ثلاثة أختام! الأول: أبو الهول، الثاني: الإسكندر الأكبر، الثالث: أغسطس قيصر[٤].

كان هناك قاعات للآداب والفلسفات المختلفة، كان الرواقيون الذين أعلوا من شأن العقل والعلم، والأبيقوريون الذين هاجموا الدروشة الدينية والخرافات والرجم بالغيب،

(١) المرجع نفسه.

(٢) وسيم السيسي: لولا حضارة مصر ما كانت حضارة اليونان، المصري اليوم، ٦/ ١٠/ ٢٠١٧.

(٣) المرجع نفسه.

(٤) وسيم السيسي: لولا حضارة مصر ما كانت حضارة اليونان.

واتهمت هذه المدرسة بالإلحاد، ومذهب: اللذة للذة. كان أفلوطين المصري الذى أدخل الرهبنة في المسيحية، والتصوف في الإسلام.

وانطفأت آخر منارة للآداب والفنون والعلوم بمصرع العالمة العظيمة الجميلة هيباشيا على يد بطرس القاري *Peter the Reader* ومجموعة من الرهبان في كنيسة القديس بطرس بالإسكندرية!.